

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين..
أما بعد..

قول الله عز وجل: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفُسَهُمْ وَتَنظُرُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر]

هذه الآية أصل عظيم في باب محاسبة النفس، وأن الواجب على العبد أن يحاسب نفسه وأن ينظر فيما أعد ليوم غد، قبل أن يحاسبه الله - سبحانه وتعالى - يوم القيامة.

فإن من الخير للعبد أن ينظر في أعماله وفيما أعد للقاء ربه - جل وعلا -:

هل هي أعمال صالحات وطاعات زاكيات وبعده عن المحرمات والمنكرات فيسره أن يلقى ربه - جل وعلا - بذلك.

أم هي أمور تسخط الله وتغضب ربه وتجل على فاعلها

فينظر ما الذي أعد له ليوم غد، ويكون ذاكرًا ذلك اليوم، وذاكرًا الوقوف بين يدي الله، وذاكرًا الحساب وعرض الأعمال، وأن كل ما عمله يأتي حاضرًا مكتوبًا مسطورًا في كتاب ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رُكُوبًا أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف].

يوم القيامة يقول الرب جل وعلا: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

أليس الجدير بالعبد أن تكون المحاسبة الآن؟!، أليس من الجدير أن يكون هذا في وقت العمل؟! فإن وجد خيرًا حمد الله على ما يسره عليه، وإن وجد غير ذلك فليصلح نفسه، أما يوم القيامة فإن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه؛ لأنه ليس هناك مجال ليتوب ولا لينيب ولا ليعود مرة ثانية لهذه الحياة ليعمل صالحًا غير الذي كان يعمل.

وفي هذا المعنى يقول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزن، وتزینوا ليوم العرض على الله ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة].

ومحاسبة النفس كما بين العلماء على قسمين:

• محاسبة بعد العمل.

• ومحاسبة قبل العمل.

النوع الأول: أما المحاسبة التي بعد العمل فهي أن ينظر العبد إلى الذي مضى من أعماله، والذي تقدم من أفعاله، والذي سيحاسبه عنه ربه ﷻ، ينظر في أعماله الماضية في حياته:

هل هي على الطاعة والسداد.

أم هي على العصيان والانحراف.

أو أنه مخلط بين ذلك.

فينظر في الفئات من الأعمال، وكل ما مضى يحاسب عليه العبد يوم القيامة، كل ما قدم يحاسب عليه العبد يوم القيامة.

لكن في شريعة الإسلام من الله علينا بباب عظيم مبارك ألا وهو باب التوبة، وأخبرنا نبينا -عليه الصلاة والسلام- أن التوبة تهدم ما كان قبلها، وأخبر -عليه الصلاة والسلام- أن الندم توبة، فينظر في أعماله الفاتية:

إن كانت زاكية سالحة مستقيمة على طاعة الله، فليحمد الله.

وإن كان فيها عصيان، ومخالفات، وتفريط في حق الله

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر]، ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾ أي لا تياسوا، فالله ﷻ يقبل التوبة مهما بلغ الإثم وعظم الجرم، فهو يتوب على التائبين، فتوبة صادقة إلى الله ﷻ وتوبة نصوح من كل ذنب خير من أن يلقي العبدُ الله ﷻ بذنوبه الجسام ومعاصيه العظام.

والنوع الثاني: المحاسبة قبل العمل، وهو النظر في الأعمال التي سيقوم بها؛ فلا يخطو خطوة ولا يسير طريقاً إلا متفكها في طريقته، كما قال بعض السلف: من فقه الرجل مأكله ومشربه وممشاه. أن يتفقه فيما يخطو إليه وما يُقدم عليه من عمل، هل هو مشروع، مأذون به؟ هل هو حرام؟ لا يصاحب من شاء، لا يقبل من شاء، لا يعمل ما شاء وإنما كل ذلك يزنه بميزان الشرع، فيحاسب نفسه على العمل قبل أن يفعله لتكون أعماله موزونة بميزان شرع الله ﷻ ليكون فيها موافقاً لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

وأسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم بأسمائه الحسنی وصفاته العليا أن يصلح لنا جميعاً شأننا كله، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكها، أنت وليها ومولاها.
والله أعلم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا

قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾

كلمة

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظهما الله تعالى



راجعها الشيخ